تعريف اسرائيل بأنها قاعدة للامبريالية، وبين تعريفها كقاعدة انطلاق للصهيونية، علماً بأنها تقوم بالدورين معاً، وذلك بحكم طبيعتها وتماثل مصالحها مع المصالح الامبريالية في المنطقة. ان الصفة الاولى ليست من صلب ايديولوجيتها، بل هي ناجمة، اساساً، عن ضرورات تحقيق الصفة الثانية، ويمكن لها أن تنتهي في حالتين هما: غياب الاستعمار او غياب الشعب المناهض لها، أي تحقيق نفي القائم، وحينذاك لن تخدم الصهيونية إلا نفسها.

ومن الملفت للنظر أن القوى العربية الرجعية تعمد – بحكم ارتباطها بالاستعمار، وهي بذلك تشارك الصهيونية وتفيدها، أيضاً، في تطوير مشروعها – إلى محو الصفة الاولى وتركز على الصفة الثانية، مضيفة اليها، في بعض الأحيان صفة مناقضة لها ومتنافرة معها، كالقول: إن «الصهيونية والشيوعية صنوان»؛ مع أن الشيوعية، كنظرية، تشكل النقيض التام للنظرية الصهيونية، تماماً كما يشكل الشعب الفلسطيني النقيض الاساسي لتجمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين في بلده، وربما كان لهذا التصور الرجعي المتعمد أثر كبير في دفع الكثير من الوطنيين والتقدميين للتركيز على صفة عمالة اسرائيل للامبريالية، مغيبين صفتها الاساسية، بغرض الطعن ليس فقط باسرائيل وانما أيضاً بمن يشاركونها العمالة.

اذن، يمكن القول أن الخطورة الاساسية تكمن في كون اسرائيل قاعدة حشد وانطلاق صهيونية تعتمد مقولة نفي «المنفى» ونفي القائم؛ وهي بذلك تفوق، لجهة الخطورة، ومن منظور المبتلين بها، خطورة أي استعمار قديم او حديث همه نهب الثروات. ومما يفاقم من هذه الخطورة كونها تشكل الهدف الأول للفكرة الصهيونية التي خلقت في القرن التاسع عشر بين وسطين اوروبيين، الوسط اللاسامي والوسط اليهودي، ووجدت هوى عند القوة الاستعمارية (بريطانيا ومن ثم الولايات المتحدة) وعملت هذه الأوساط جميعاً على اخراج الفكرة إلى حيز التنفيذ.

لسنا هنا بصدد التعمق في دراسة ولادة الفكرة، وانما نحن في معرض الاشارة إلى العلاقة المصلحية القائمة بين الصهيونية واللاسامية (نعني بها الرغبة الكامنة لدى الشعوب الاوروبية في التخلص من اليهود) وتطور الفكرة، ثم تجسيدها بدعم القوى الاستعمارية على الرغم من الدوافع المتباينة.

كان من نتائج تفاقم اوضاع اليهود في اوروبا، في القرن التاسع عشر، وسط تضافر نمو الثورة البرجوازية واذكاء الشعور القومي لتلك الدرجة التي يصل فيها، في كثير من الأحيان، إلى مرتبة الشوفينية، أن أخذ الحديث يدور حول «المسألة اليهودية» وطرح حلول لها من منطلقات مختلفة، ولم يكتب العيش، من مختلف وجهات النظر سوى لوجهتي نظر فريقين: الفريق اللاسامي (من وسط الاغيار)؛ والفريق الصهيوني (من الوسط اليهودي). وقد التقى هذان الفريقان عند نقطة اعتبار اليهود «امة» «وجنس» و«قومية» – وليس طائفة كما كان يقول الكثيرون من المفكرين الاوروبيين او اليهود – لا يمكن دمجهم في